Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وإذا كان البحترى يتحدث فى القصيدة التى معنا عن فيض دمعه من حذر الوشاة (وتفيض من حذر الوشاة مدامعى) فإنه فى القصيدة الأخرى يوضح لنا سبب حزنه من هؤلاء الوشاة ، وهو أنهم أثروا فى الممدوح فتحول النهار ليلا ، واللين وعورة ، فإذا نفس هذا الممدوح مليئة بالإحن التى تثقل كاهل الصباح . حيث يقول :

طافَ الوشاةُ به فأحَدثَ ظُلمةً فى جَوِّه ، ووعورةً فى أرضه
غضبان حُمِّل إِحْنةً لو حُمِّلَتْ ثَبَجَ الصباح لثقَّلَتْ من نهضه[٤٨]

ويصفه بما هو أبعد من ذلك وأوغل فى التعريض به .

ومن هذا نفهم أنه ليس من باب التقليد الذى يسير عليه الشعراء كالفهم الشائع فى النظرة إلى المطالع ، وليس من باب المصادفة أن نجد البحترى يستهل قصيدته بالمطلع الذى بين أيدينا ، وهو :

أحرى الخطوبِ بأن يكون عظيما قولُ الجهول ألاَ تكونُ حليما ؟

بل الحقيقة أنه رغم أن الموقف مدح ، ورغم أن هذا قد اقتضاه أن يسوق فيضا من معانى الثناء على الممدوح ، إلا أن الشاعر احتفظ لنفسه بالمطلع ليبرز لنا من خلاله مشاعره الحقيقية نحو الممدوح ، وهى مشاعر تكاد تكون عكس موضوع القصيدة .

ونستطيع غالباً أن نتبين نفسية البحترى نحو ممدوحيه من خلال المطلع مها تنوع موضوع المطلع ، بل نستطيع أحيانا أن نتبين صدى الأحداث فى نفسيته حيث يبثها فى المطلع ، فإذا ألقينا نظرة على مطالعه فى مدح المهتدى بالله مثلا نستطيع أن نلمح أطوار تأثير الأحداث وصداها فى نفسية البحترى ، رغم أن خلافة المهتدى لم تكمل سنة ، ولكن خلافته كانت أملاً تهفو إليه النفوس ، ثم استطاع بعد توليه الخلافة أن يملأ هذه النفوس حباً له ، والتفافاً حوله ، وثقة فى خلقه وسياسته ، وقد كان صدى هذا ماثلاً فى استهلال البحترى فى مدحه فى هذه الآونة ، كقوله[٤٩] :